التوتر الأمريكي الروسي في شرق الفرات

سيبل دوندار
باحثة مساعدة في أورسام

> هناك أنشطة للجهات الفاعلة التي تتواجه في سوريا منذ سنوات ولديها تنافسات محددة، هذه الأنشطة تستمر في الازدياد في المنطقة في المجالين العسكري والسياسي.

يشهد شرق الفرات توترا بين القوات الأمريكية والروسية، بدأت آثاره تظهر في أواخر العام 2019، وأصبح ملموسا أكثر فأكثر مع بعض الأحداث التي وقعت بين الطرفين. هناك أنشطة للجهات الفاعلة التي تتواجه في سوريا منذ سنوات ولديها تنافسات محددة، هذه الأنشطة تستمر في الازدياد في المنطقة في المجالين العسكري والسياسي. كما هو معروف أن روسيا بدأت في العام 2015 تظهر فعليا في الميدان من أجل دعم النظام السوري، وبدأت روسيا بالتمركز بشكل فعال في شرق الفرات من أجل سد فجوة القوة التي قد تحدث بعد قرار الولايات المتحدة سحب قواتها من سوريا. هذه المساعي التي تهدف لامتلاك الكلمة العليا في المنطقة التي لها ديناميكياتها المختلفة داخلها، تجلب معها منافسة حادة بين الولايات المتحدة وروسيا. وفي الوقت الذي تتواصل فيه النقاشات حول كيفية تشّكل سياسة الولايات المتحدة

بشأن سوريا بعد الانتخابات الرئاسية، فإن هناك توجّه أمريكي لتعزيز قواتها الرادعة في سوريا بعد المواجهة المباشرة مع القوات الروسية في المنطقة. هذا التوجّه أدى إلى ظهور بعد جديد في النقاشات. الرسالة التي تريد واشنطن توجيهها من خلال هذا التوجه، وأبعاد التنافس بين الولايات المتحدة وروسيا الذي قد يظهر في المستقبل، هو موضوع مهم للنقاش.

تعزيز الوجود العسكري للطرفين

أصيب 4 جنود من القوات الأمريكية على الأقل جراء اصطدام أحد سيارات رتـل عسكـري روسي "عـمـدا" في 25 أغسطس/ آب 2020، ونزل هذا الخبر كالصاعقة. سُجلت هذه الواقعة على أنـها أول حـادث يصاب فـيـه جـنـود أمريكيون نتيجة مواجهة بين القوات الروسية المساندة للنظام السوري والجيش الأمريكي في سوريا. وأوضح المسؤولون عن فحص وتدقيق مقاطع الفيديو المتعلقة بالحادثة أن مروحية عسكرية روسية حلّقت بسرعة على ارتفاع منخفض في مكان الحادث، وهذا تكتيك يستخدم عادة لتفريق الجـنـود في المنـطـقـة. ولـوحـظ من التصريحات أن كلا الجانبين يلقي باللوم على الآخر ويعتبره مسؤولا عن الحادث. وبينما قالت الولايات المتحدة الأمريكية إن روسيا دخلت المنطقة التي وعدت بعدم التواجد فيها، أوضحت روسيا أنها أبلغت الجانب الأمريكي قبل مرور الرتل العسكري الروسي، وفق المتفق عليه. وأشارت هذه التصريحات أن الجنود الأمريكيين انتهكوا الاتفاقيات القائمة وحاولوا منع الدورية الروسية.

وفي الوقت الذي تواصلت فيه الاتهامات المتبادلة بين البلدين، أعلن المتحدث باسم القيادة المركزية الأمريكية النقيب بيل أوربان أنه تم نشر 6 عربات عسكرية مصفحة من طراز برادلي و100 جندي إضافي في المنطقة، إضافة إلى نحو 500 جندي كانوا منتشرين في المنطقة. وأوضح أوربان أن الآليات العسكرية تم إرسالها من الكويت، وأنه سيتم

نشر رادار في المنطقة خلال فترة وجيزة، وأن الجيش الأمريكي سيزيد من عدد الطائرات المقاتلة المرافقة للدوريات في المنطقة. وإضافة إلى ذلك قال أوربان: "إن الولايات المتحدة لا تسعى لمحاربة أي دولة في سوريا، لكنها تدافع عن قوات التحالف إذا لزم الأمر". وكان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قد قال في تصريح له في البيت الأبيض قبل يوم أو يومين من إرسال التعزيزات العسكرية إلى سوريا، إن الولايات المتحدة ليس لها تواجد عسكري يتعلق بالقضية السورية باستثناء القوات التي ستوفر حماية لآبار النفط. هذا التصريح كشف عن التناقضات بين المؤسسات الأمريكية فيما يتعلق بالمسألة السورية.

وردا على تعزيز الوجود العسكري الأمريكي، لوحظ في الأسبوع نفسه انتشار عسكري روسي مكثف في ريف إدلب على الطريق البري (أم4) بين اللاذقية وحلب. ولوحظ أيضا، أن رتلا روسيا مكونا من عشرات الآليات تحمل موادا لوجستية وأسلحة وذخائر قد توجّه يوم السبت 19 سبتمبر/ أيلول عبر طريق (أم4)، إلى القامشلي المدينة التي يوجد بها قاعدة عسكرية روسية. وإضافة لذلك لوحظ أنه في اليوم السابق، شوهد 15 آلية تابعة للنظام السوري تحمل جنودا وموادا لوجستية توجهت كتعزيزات إلى اللواء 93 في الرقة. وأفادت مصادر محلية أن القوات الروسية أعادت في 12 سبتمبر/ أيلول، فتح الطريق البري الدولي الحسكة-حلب (أم4) الواصل بين تل تمر في شمال ريف الحسكة وبلدة عين عيسى في شمال ريف الرقة. جاء هذا التطور

بعد إغلاق الطريق السريع لأكثر من شهرين كجزء من الإجراءات المتخذة لمنع انتشار كوفيد-19.

الرسالة المهمة في تعزيز الوجود العسكري

هناك تفسير لزيادة الوجود العسكري، بأنه محاولة لثني روسيا عن التدخل في المناطق التي تشهد فيها نشاطا مشتركا للولايات المتحدة مع منظمة وحدات حماية الشعب/حزب العمال الكردستاني الإرهابية. جدير بالذكر، أن روسيا تولّت مسؤولية انسحاب "واي بي جي" من الخط الحدودي بناء على الاتفاقية الموقعة مع تركيا بعد عملية نبع السلام، وأظهرت صورة أكثر نشاطا في المنطقة من خلال الدوريات المشتركة. من ناحية أخرى، حاولت روسيا تعزيز موقعها في المنطقة من خلال القيام بعمليات وساطة بين النظام السوري ووحدات حماية الشعب. أما القوات الأمريكية التي تراجعت على طول الخط أثناء العملية، عادت نوعا ما إلى مواقعها القديمة بعد ذلك، وأعطت رسالة أن وجودها في المنطقة لم يتراجع من خلال بناء قواعد جديدة. وفي الفترة اللاحقة، التقت القوات التي تقوم بدوريات في المنطقة، وجها لوجه بشكل متكرر، وحدثت احتكاكات طفيفة بين الطرفين. جدير بالإشارة، أنه لوحظ تغييرات إجبارية طرأت على مسارات الدوريات، عقب هذه المناوشات. التوتر الذي بدأ في أواخر العام 2019، دفع الأطراف خلال الحادثة الأخيرة إلى اتخاذ المزيد من الإجراءات الرادعة.

كما هو معروف، تم توقيع اتفاقية عدم اعتداء بين روسيا وقوات التحالف الدولي في سوريا، قبل 5 سنوات. وقد لوحظ أن هناك مكتبا خاصا للولايات المتحدة بشأن تجنب الإشتباك بين قوات الأطراف الدولية المتواجدة في

سوريا، كما أن لروسيا أيضا مكتبا لتنسيق التحركات اليومية للدوريات العسكرية لكلا الجانبين، وتحديد الهدف العسكري للدورية والمجال الجوي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار، أن التنسيق يتم وفق الأولويات العسكرية للجانبين وأن الاتصالات تجري على جميع المستويات بشأن انتشار قوات الحلفاء في الميدان، فلن يكون كافيا الاعتقاد بأن هذه الواقعة كانت مجرد حادث. وعلى الرغم من أن كلا الجانبين يعرف تماما إلى أين سيتجه الطرف الآخر وأسباب تسيير الدوريات في هذه المنطقة، فيمكن اعتبار التوتر بين القوات الأمريكية والروسية انعكاسا لاستراتيجيات الطرفين المستقبلية في المنطقة.

التنافس المحتمل في شرق الفرات

وعلى الرغم من أن تعزيز الوجود العسكري الأمريكي في مناطق شرق الفرات يعد بمثابة تحذير رمزي لروسيا بعدم الإحتكاك مع القوات الأمريكية أو الإضرار بها في سوريا، إلا أنها جلبت معها العديد من علامات الاستفهام. روسيا تعتقد أن الولايات المتحدة ستواصل سياسة سحب قواتها من سوريا، وبينما تدور نقاشات أعمق في واشنطن حول أهداف السياسة الأمريكية تجاه سوريا وما إذا كان الوجود العسكري سيستمر هناك، يلاحظ أن روسيا ستواصل زيادة تأثيرها العسكري في المنطقة بشكل حاسم. ومن المعروف، أن روسيا لا تقتصر على مثل هذه الحركات الميدانية فحسب، بل تريد أيضا أن تصبح المركز المهيمن في الملف السوري على الساحة السياسية. كما هو معروف أيضا، أن روسيا التي تريد جذب حزب الاتحاد الديمقراطي/ وحدات حماية الشعب إلى دائرة نفوذها، تجري سلسلة اتصالات وتقوم بوساطات المساومة بين النظام السوري وحزب الاتحاد الديمقراطي/ وحدات حماية الشعب. ولكن، هذه المساومات تكللت بالفشل، نتيجة إجبار الولايات المتحدة لحزب الاتحاد الديمقراطي/ وحدات حماية الشعب على الانسحاب من المفاوضات، والخلافات العميقة بين توقعات النظام وحزب الاتحاد الديمقراطي/ وحدات حماية الشعب، من هذه المفاوضات. بعد هذه التطورات قامت الولايات المتحدة بالتوسط في مفاوضات الوحدة بين حزب الاتحاد الديمقراطي/ وحدات حماية الشعب، والمجلس الوطني الكردي الذي يمثل سقفا للأحزاب الكردية السورية المقربة إلى أربيل. هذه الوساطة دفعت روسيا إلى الرد بخطوة مشابهة.

"مفاوضات الوحدة" التي تجري بمبادرة أمريكية وصلت الآن إلى المرحلة الثالثة، وتخطط الولايات المتحدة في حال نجاح المفاوضات إلى إكساب حزب الاتحاد الديمقراطي/ وحدات حماية الشعب شرعية دولية من خلال المجلس الوطني الكردي. وبذلك تضمن الولايات المتحدة وجود مقعد لحزب الاتحاد الديمقراطي/ وحدات حماية الشعب على طاولة مفاوضات الحل السياسي للأزمة السورية. ولوحظ أن روسيا جمعت الجهات الفاعلة المختلفة لنفس الهدف أيضا. ولعل أبرز مثال ملموس على ذلك، هو استضافة مجلس سوريا الديمقراطية الجناح السياسي لحزب الاتحاد الديمقراطي/ وحدات حماية الشعب، في موسكو في 29 أغسطس/ آب 2020، بناء على دعوة رسمية من روسيا.

من المعروف، أن حزب الإرادة الشعبية الذي أسسته المعارضة السورية المتمركزة في موسكو ويتخذ دمشق مقرا له، أجرى مع مجلس سوريا الديمقراطية مفاوضات في روسيا بشأن الحل السياسي للأزمة السورية، وتم توقيع مذكرة تفاهم بين الطرفين في 31 أغسطس/ آب. وبعد الاتفاق، التقى الطرفان بوزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف وأطلعاه على الوضع القائم. وفي تصريح له حول الموضوع، أكد لافروف أنهم لم يكونوا على علم بالمفاوضات ولم يلعبوا أي دور حاسم فيها. ولكن، عند النظر إلى زمان ومكان المفاوضات، يلاحظ أن الواقع يرسم صورة مختلفة عما تعكسه روسيا.

هناك تنافس محدد بين الولايات المتحدة وروسيا حول قضايا مثل وضع شرق الفرات، والاستفادة من عائدات موارده الطبيعية، وإشراك حزب الاتحاد الديمقراطي في عملية الحل السياسي. إلّا أن هذا التنافس احتدم في الفترات الأخيرة، واتخذت الأطراف إجراءات أكثر صرامة. وبالنتيجة، من المتوقع أن يؤثر مجيء بايدن إلى رئاسة الولايات المتحدة على هذا التنافس وعلى مستقبل سوريا، ومن المتوقع أن تتواصل الحدة بين القوتين العالميتين في سوريا التي ربما تصل إلى مستوى الاشتباكات لاسيما في شرق الفرات. ■